إلى ...

للدكتور زكي مبارك

مولاتي

إليك أقدّم نجوى القلب وحنين الروح ، ثم أعتذر عنك إن سمحتِ ، ففي رسالتك الكريمة ألفاظ تحتاج إلى اعتذار ، فليس من الصحيح أني أصانع فلاناً وأتوسل إلى فلان ، كما تتوهمين ، وإنما أنا رجلٌ مُرُّ المداوة حلو الوداد ، ومن كان كذلك فهو خليقٌ بأن يوغل في مخاشنة أعدائه حتى يوصَم بالإفراط في القسوة والعُنف ، وأن يُكثر من مجاسنة أصدقائه حتى يُتهم بالإسراف في الرفق واللين

ومع أني أنزه نفسي عن اختلاق المعايب لأعدائي فأنا أترفق في ابتداع المحاسن لأصدقائي ، ولست من الذين يستبيحون إيذاء أصدقائهم باسم الحرص على منفعة المجتمع ، أو الصوالح القومية ، لأن الصداقة عندي مبدأ من المبادئ ورأي من الآراء وعقيدة من العقائد ، وأنا أعدّ الاستهانة بحقوق الأصدقاء جريمة روحية تمرّض القلب لعقاب الله ذي العزة والجبروت

أنا يا مولاتي أومن بأني مسئول أمام الله عن واجب التلطف مع أصدقائي ، بل أنا مسئول عن وجوب الاعتقاد بأنهم منزّهون عن المآثم والعيوب ، فاحترسي من انتهابي بالتقرب والتزلف ، فلله غضَبات تنصبُّ على رءوس من يتهمون الأبرياء ، حماكِ الله من التعرض لغضَبات السماء !

وقد يقع أن أصوّب سنان القلم إلى زميل أو صديق ، ثم أظلّ مع ذلك سليم القلب ، أمين الروح ، لأن لي رأياً في البِرّ بأصدقائي ، وذلك الرأي يحتم الاهتمام بآثارهم الأدبية والعقلية من حين إلى حين ، لأني أومن بأن النقد البريء من الغرض صورة جميلة من صور العطف والرفق والإعزاز ، وأصدقائي يرون في هذا المسلك ما أراه ، إلا أن ينحرفوا عن القصد فيروه من مذاهب الاستطالة والكبرياء ، كالذي وقع من فلان وفلان وفلان . على أيامي في صحبتهم ومودتهم سلام الروح وتحية الفؤاد !

أما بعد فما هذا الذي تقولين ؟

كنتِ مريضة منذ شهور طوال ؟ ؟ ؟

لله الحمد وعليه الثناء ، فما كان المرض أهول ما أخاف ، وإنما كنت أخاف عليك بَغْي الغدر وعُدوان العقوق !

كان قلبي في تلك الشهور يهتف بالشوق إلى الروح اللطيف الذي كان يتصدق عليّ بالسؤال من وقت إلى وقت ، ثم انقطع عني مع قدوم الصيف ، كأن لم يَكف ما حلّ بنا من المخاوف مع قدوم الصيف ! كان قلبي يقول ويقول ويقول ، لقد قال كل شيء ، ولم يقل إنك مريضة ، ولو أنه قال لقدمته فداء لأظرف فتاة فهمت أسرار قلبي وسرائر روحي

كنتُ يا مولاتي أرجو دائماً أن أصل من المتاف بالحب إلى حصول نفيس من فهم ما في الوجود من تيارات خفية تصنع ما تصنع في وصل القلوب بالقلوب ، والأرواح بالأرواح ، بلا جهد ولا مشقة ولا عناء

فهل أستطيع القول بأن قلبك الغالي كان من تفانس ذلك المحصول ؟

وأعينك أن تظني — وبعض الظن حق — أني أستهدي لمحة جديدة من لمحات العطف ، فأنا راض بأن تظلي محجوبة عني ، ما دام لك هوًى في ذلك الحجاب ، فهو على كل حال فرصة ثمينة لمن يزدهيها أن تقول : أتعداك أن تعرف من هي « ليلى من الليالي »

وأنا يا مولاتي أعرف ، فلقلبي أرصاد وعيون يطّلع بها على الذخائر التي تفرّد بها وطني ، الوطن العظيم الذي ينجب عرائس لها أرواح في مثل روحك العذب الجميل .

وهل خَفِيَ عني منك شيء ؟

في كل لفظة من رسائلك الكريمة عَروسٌ تتخطّر وتميس في دلال وكبرياء ، وفي كل نبرة من صوتك الرنّان — ولم أسمعه إلا عن طريق التليفون — في كل نبرة من صوتك لحنٌ ينقل قلبي برفق ولطف إلى أجواز الخلود

فإن كنت فتاة حقيقية ، فأنت البشير بأمل مسئول ، وإن كنت فتاةً خيالية ، فأنت المطلَع الجميل لأنشودة رائعة من وحي الخيال ...

ولي غرضٌ من هذا التشكيك ، فما أحب أن تكوني أنتِ أنت ، لئلا يسرف السفهاء باب التطاول على نجم السماء

إن الغرض الأصيل من نجوانا هو خَلق روح جديد في الأدب الحديث ، ولا بدّ من أن نقول مثل هذا القول دفعاً

في بحثه على ضوء الشعر العربي والحوادث العربية فيرى الحروب لا تشحذ ملكة الشعر ـ جعلت أستضيء بالشعر العربي والحروب العربية فرأيت الحرب كانت لدى العرب من أفعل مثيرات الشعر كما يقولون : الشعر يوحيه الحب والحرب والموت

لقد هاجت الحروب شعراء العرب فقالوا في التحريض على القتال ، ووصف المعامع ، والصبر والإقدام فيها ، والجبن والفرار ، والنوح على القتلى ، والتغني بالانتصار ؛ ووصفوا الخيل والسلاح ، وأكثروا في كل ذلك وأتوا بالعجيب

وإننا لو نظرنا فيما بين أيدينا من شعر العصر الجاهلي لوجدنا نحو نصفه مقولاً في الحروب وما يتعلق بها ، وكان كثير من الشعراء يستوحون الحرب أكثر ما ينشدون مثل عنترة الفوارس وعمرو بن معد يكرب

وقد اختار أبو تمام مجموعة من شعر العرب فكان نصيب الحروب منها أكثر من الثلث ، على تنوع الأغراض الأخرى ، وسماها (الحماسة) تغليباً للشعر الحماسي

وقد اطرد قول الشعراء في الحروب ، في العصور الإسلامية المختلفة ، فكان الشعراء يصفون المعارك الحربية في صدد مديحهم للخلفاء والأمراء ويشيدون بشجاعتهم وبلائهم فيها . وقد صحب الثورات والانقلابات في الدول الإسلامية قيام كثير من الشعراء مناصرين ومعارضين ، وهذا ابن هانئ الأندلسي ـ مثلاً ـ يجد متصفح ديوانه أغلب قصائده في مديح الفاطميين ووصف حروبهم وشجاعتهم .

وقد كان من كل ذلك نتاج شعري عظيم تزخر به كتب الأدب العربي

ومن أحسن ما قيل في وصف الحروب قولُ عمرو ابن معد يكرب :

الحرب أول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها ... عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت ... مكروهة الشم والتقبيل

ألا ليت شعري ، أفلم يشعر جبابرة الحرب الحاضرة الذين يحملون خيرات العالم إلى جحيم ـ أن الحرب قد صارت عجوزاً شمطاء لا تطاق عشرتها ... ؟

وللأستاذ العقاد تحيتي وإكباري

عباس محمود خضر

وفاة الأستاذ فخري أبو السعود

تنعى الرسالة إلى قرائها أديباً من صفوة أدباء الشباب هو الأستاذ فخري أبو السعود الشاعر الكاتب والمترجم المعلم

برم ـ رحمه الله ـ بالحياة في ساعة من ساعات الضيق الكاربة فأطلق على رأسه المسدس وهو جالس على كرسيه الطويل في حديقة داره برمل الإسكندرية ، وقد كان يعيش وحده في المدة الأخيرة لأن الحرب فصلت بينه وبين زوجته الإنجليزية وولده الوحيد . وقد شاء القدر القاسي أن يفرق ولده مع السفينة التي كانت تحمل الأطفال الإنجليز إلى كندا وأن تنقطع عنه أخبار زوجه . ولعل في هذه الحادثة الأليمة تفسيراً للدوافع الخفية التي دفعت هذا الشاب القوي الفتي إلى الانتحار وهو في سن الثلاثين . رحمه الله رحمة واسعة وعوض مصر عن أدبه وشبابه خير العوض .

الديوان الثاني بالبريد

أهدى الأستاذ الشاعر علي محمود طه نسخة من ديوانه إلى صديقه الأستاذ محمود غنيم فتاهت في البريد ، ولما علم صاحب الديوان بذلك بعث إليه بأخرى فكان مصيرها كأختها فكتب إليه الأستاذ غنيم يقول :

بعثتَ بملآكَ النائهِ ... وطوّفتَ جيدي بإهدائهِ
ولكنّه تاهَ في ظلمات المحيطِ ... وضلّ بأحشائه
ألا ما لشعرك في البحرِ تاهَ ... وشعرُك أعمقُ من مائه ؟
كأني به ضلّ بين اللآلي ... فلألؤها مثلُ لألائه
له الله كيف اهتدى للجميع ... وأخطأ أشوقَ قرائه !
ترى هل ألحّ عليهِ الحياء ... فأعرضَ خشيةَ إطرائه ؟
لعمرك ما تاهَ تيهَ الضلالِ ! ... متى ضلّ نجمٌ بعليائه ؟
ولكنّهُ تاهَ تيهَ الدلالِ ... وقام الجمال بإغرائه .

(مدرسة فؤاد الأول الثانوية) محمود غنيم

تفسير بيتين

طلب الأديب « ع . ا . سعد » إلى الأستاذ ناجي الطنطاوي أن يفسر له البيتين :

« بذكر الله تزداد الذنوب ... وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً ... فإن الشمس ليس لها غروب »

هى خلوة أقترب فيها من نفسى بعض الاقتراب ، وأشعر بمواجهة القلب المقدّس الذى يمنّ به الله على أحد الأرواح فى إحدى الأحايين ، وأسمع صرير القلم بلهفة وشوق ، لأن كتاباتى لهـا فى أذنى وَقْـع ، وفى قلبى وَقْـع ، وما خططتُ حرفاً إلا وأنا مشغوف بتعرف ما يتسامى إليه من ألحان وأغاريد ، ولو شئتُ لقلت إن طاعة القلم هى التى تجذبنى إليه ، فهو لا يَصدُر إلا عن أمرى ولا يَصدَح إلا بما أشاء ، وهو لا يخطئ حين يخطئ إلا وهو مؤمنٌ بأن أخطائى أصدق وأجل من الحق ومن الصواب

فمن كان فى صدره عتاب أو ملام لانصرافى عن محضَره الأنيس فليذكر هذا القول ، فأنا لا أصادق من يتوهم أنى رجلٌ يخطئ كما يصيب ، وإنما أصادق من يعتقد اعتقاداً جازماً بأن العيب حين يقع منى هو الثُرّة فى هلال شوال . وهل كانت لى عيوب إلا فى أوهام الذين أبنيهم ليهدمونى ؟ جزى الله بعض الزملاء « خير » الجزاء !

وماذا نصنع إذا التقينا يا شقية ، يا شقية ؟

سيهمّك أن تعرفى الفرق بين زكى مبارك المؤلّف وزكى مبارك المحدّث (؟ !)

وسيهمنى أن أعرف الفرق بين الفتاة التى تكتب إلىّ من بُعد والفتاة التى أراها من قُرب (؟ !)

وعندئذ آثَمُ وتأثمين ، لأن شريعة الحب تبغض هذا الفضول

ألم تقولى فى إحدى رسائلك إنى أصانع فلاناً وأتوسـل إلى فلان ؟

وأين كان التوسل والتصنع وقد صبرت على الحرمان من وجهك الجميل أكثر من طعين ؟

وهل حُرِمت منك طعين أو شهرين أو يومين أو ساعتين ؟

الجواب عند ليلى ، فاسألى ليلى ، ليلى المريضة فى العراق ، اسأليها تخبرك أن صدها عنى لم يكن إلا فنّا من فنون الوصل ، والصدّ المقصود ليس قطيعة ، وإنما هو آية من آيات العطف ، لا حَرَمنى الله تعتُّب ليلاى هنا وليلاى هناك !

أين أنا مما أريد ؟ وهل ترينى أفصحتُ بما أريد ؟

ما نظرت فى رسائلك إلىّ إلا زاغ بصرى وطار صوابى !

فهل من الحق أنك تخافين عواقب التصريح باسمك المكنون ؟

أنا لم أجترح معك غير هفوة واحدة يوم استبحت تسجيل صورة من خطك البديع فى الكتاب الذى تعرفين ، وقد نهيتنى فانتهيتُ ، فما تحجُبُكِ عن الحب الذى « أدّبتُهُ عقوبة الإفشاء » فتاب وأناب ؟

على أننى راضٍ عمّا صرنا إليه من الاكتفاء بمصافحة القلوب ، أدام الله عليك نعمة العافية ، وجعلك مصباحاً وهّاجاً لبيتك الرفيع ، ولا أرانى فيك إلا ما أحب ، يا زهرة الشباب فى الوطن المحبوب ، ويا أصدق شاهد على صحة ما قال قاسم أمين وهو يُهدى كتاب « المرأة الجديدة » إلى سعد زغلول

* * *

ثم ماذا ؟ ثم كان العطف النبيل فى منحى لقب « أمير البيان » فهل ترين هذا اللقب على سموّه يستوجب الدخول فى خصومات كالتى عاناها شوقى « أمير الشعراء » ؟

إن لقب « أمير البيان » أضيف إلىّ أول مرة على سبيل السخرية فى إحدى مجلات لبنان ، ثم أضيف إلى مرات على سبيل الإنصاف فى بعض جرائد مصر والعراق ، فماذا ترين أن أصنع فى حراسة هذا اللقب الرفيع ؟

أنا أومن يا مولاتى بأنه لا يمكن لأحد أن يكون أكتب منى ، إلا إذا استطاع أن يكون أصدق منى ، ومن المستحيل أن يكون فى الدنيا أحد أصدق منى ، وهل هان الصدق حتى يكون لى فيه منافسون من أبناء الزمان ؟

الصدق يحتاج إلى تضحيات عظيمة جدا ، ومن تلك التضحيات ما تعرفين وما تجهلين ، ولو علمت الغيب يا شقية لعرفت أن الصدق جرّنى إلى معاطب ومهالك لا يصبر على محرجاتها ومُؤذياتها إلا من كان فى مثل إيمانى ، وقد صبرتُ وصبرتُ حتى اتهمنى الغافلون بالبلادة والجمود ، لأنهم لم يعرفوا أن دنيا الأدب فيها مبادئ تروض أهلها على الترحيب بمكاره الظمأ والجوع ، إن جاز القول بأن الله رضى لحظة واحدة بأن أحس مكاره الظمأ والجوع ، ولن أموت إلا مقتولاً بنعمة الترف فى الطعام والشراب ، فليغفر الله ما أدّعيه زوراً من الترحيب بمكاره الظمأ والجوع ، وهو الغفور التواب

وهل أنسى يا شقية أن الصدق حرمنى نشوة الاستصباح بوجهك الوهاج ؟